

نفحات القرآن

[157] وسمعَ محاجتهما، وكذا الأمر بالنسبة لقوم عاد، فلم يروهم ولم يروا مدنهم العامرة يومذاك، وحتى بالنسبة لأصحاب الفيل فإن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وُلِدَ في السنة التي هجم فيها (إبرهة) طبقاً للرواية المشهورة، فلم يرَ شيئاً من الحادث وكذا أكثر المسلمين، وعلى هذا فالمراد من الرؤية هو التدقيق في تاريخهم. إن ما يلفت النظر هنا هو أن الآيات الخمس الأولى ركّزت بحثها على التاريخ المدوّن أي ما جاء في صفحات الكتب التاريخية بينما ركزت الآيات الأربع الأخيرة بحثها على التاريخ التكويني الحي أي الآثار الباقية عن الاقوام الغابرة في بقاع مختلفة من العالم. من الممكن أن تكون الآيات الثلاث الأخيرة فيها إشارة إلى التاريخ المدون أو التاريخ الخارجي أو كليهما، ويتضح من مجموع هذه الآيات (وأمثالها في القرآن الكريم) الأهمية القصوى التي أولاها القرآن لقسمي التاريخ كمصدر للمعرفة والعلم. إنَّ الله عزَّ وجلَّ يدعو الناس تارةً لأن يشاهدوا بأعينهم قصور الفراعنة وآثار دمار مدن عاد وثمود وقصور نمرود وأعوانه والبلاد التي جُعِلَ عاليها سافلها التابعة لقوم لوط لكي يعرفوا أنَّ مَصِيرَ المتجذِّرين سيؤول إلى هذه النهاية. وتارة نجد القرآن نفسه يشرح بدقة هذه الحوادث ويسلط الضوء عليها ويعدُّ العبدَ بعد العبدَ ذاكراً عاقبة (المكذبين) و(الظالمين) و(الكافرين) و(المفسدين) في ضمن بحوثه التاريخية هذه. في الحقيقة إن القرآن تارة يأخذ بأيدي الناس إلى "مصر" ويريهم الآثار التاريخية ويمثل لهم الراقدين تحت التراب ويصور أمامهم العروش التي عصفت بها الرياح، وتارة أخرى يريهم الذين أُركسوا في العذاب وهُدِّمت عروشهم، والخلاصة: فإن القرآن يريهم ما خفي على العيان من قصص الأسلاف. إنَّه يمضي بهم إلى المدن الخربة كمدينة (سدوم) مثلاً مركز قوم لوط